فن الزخرفة فى عصر بومباى

POMPEIAN ORNAMENT

يشمل هذا الاصطلاح جميع المدائن المعاصرة التى أعيد تشييدها بايطاليا بعد أن دمرتها الزلازل والبراكين .

وقد اشتهرت فنون هذه المدائن برقة المشاعر الفنية لأهل الجنوب وقربها من الفنون الإغريقية ـــ وترجع أهمية هذه المدائن أيضا لحالتها الحسنة التى وجدت عليها بعد أن غمرها فوران بركان **فيزوف** عام ٧٩ ق.م وكشفت عنها حفريات سنة ١٧٨٤ وألقت بذلك كثيراً من الضوء على هذه الحقبة التاريخية . وكانت هذه المبانى مشيدة من طابق واحد . وقد انحصرت الدراسات الفنية لها فى الآتى :

١ ـــ تفاصيل **معمارية** .
٢ ـــ نقوش جدارية .
٣ ـــ نقوش الفسيفساء
٤ ـــ المنقولات والمستلزمات المنزلية الأخرى .

وقد استخلص الباحثون فى هذا المضمار أن رقة نقوش هذا العهد تحاكى صدى العهد الهيلانى .

وسوف توالى شرح اثنين من الطرز الواضحة والمتميزة للزخارف والتى سادت وشملتها زخرفة الأبنية الفخمة والعمارة فى عصر بومباى .

الطراز الأول : كان من الواضح تأثره بالأصل الإغريقى مؤلفا من الزخارف التقليدية بألوان **بسيطة** ومسطحة إما مرسومة بلون داكن على أرضية فاتحة أو بلون فاتح على أرضية داكنة ولكن بدون ظلال أو أى محاولة لابراز هذه الزخارف .

زخرفة توضح الطور الأول لفن الزخرفة فى بومباى

زخارف توضح الطور الثانى لفن الزخرفة فى عصر بومباى

الطراز الثانى :ــ وهو أكثر شبها بالفن الرومانى يرتكز على ورقة الأكنثس الملتفة والمحبوكة مع زخرفة فى محاكاة مباشرة للطبيعة .

وبفحص هذه الطرز من الأعمال التى عثر عليها يتضح أن هذا النمط كان راجعا إلى الحد الكبير من الشذوذ عن الأطوار **وأنه غالبا** ماتكون أى نظرية للتلوين والزخرفة مرتكزة على مرجع من عصر البومباى .

والتنسيقات العامة للزخرفة على الجدران الداخلية لمنازل البومباى تكون من إفريز حوالى $\frac{1}{6}$ ارتفاع الجدار والتى عليها أنصاف أعمدة مربعة عريضة بنصف عرض الإفريز الجدارى مقسمة الجدار إلى **ثلاثة بانوهات** أو حشوات مستطيلة وتربط انصاف الأعمدة هذه بافريز باتساعات متنوعة حوالى $\frac{1}{4}$ ارتفاع الجدار من القمة .

والمسافة العليا دائما بيضاء وهى غالبا خاضعة إلى معاملة أقل كثيراً من الصرامة عن الأجزاء السفلى . **لإظهار جو مفتوح أو الشعور بالهواء الطلق وفى الإتجاه نحو الأرض كانت ترسم وتلون هذه المبانى الخيالية المعمارية .**

وفى أفضل الأمثلة كان هناك تدرج فى اللون **يبدأ** من السقف متجها لأسفل منتهياً باللون الأسود فى الإفريز . ولكن كان هذا بعيداً جداً عن أن يكون قانوناً ثابتاً .

وفيما يلى توضيح للتلوين لتنوعات **عديدة** تتم عن كيف كانت هذه نتيجة لهذا الأسلوب .

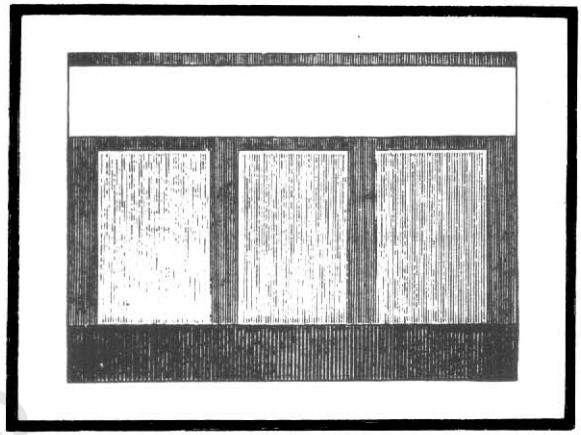

رسم تخطيطى لجانب من منزل فى بومباى

نظام تدرج اللون :ـــ

الإفريز أسفل السقف	أنصاف الأعمدة المربعة (الفصوص)	الحشوات	إفريز أسفل الجدار
أصفر	أخضر	أحمر	**أسود**
أحمر	أحمر	أسود	قرمزى
أسود	أصفر	**أسود**	أحمر
أسود	أصفر	أخضر	أخضر
أزرق	أصفر	أخضر	أخضر
أزرق	أصفر	أزرق	أزرق
أسود	أخضر	أصفر وأحمر (على التوالى)	أبيض
أسود	رمادى	أصفر وأحمر (على التوالى)	**أسود**
أسود	**أسود**	أخضر وأحمر (على التوالى)	أبيض

وأكثر التنسيقات نجاحاً تظهر بالإفريز الأسود وأنصاف الأعمدة المربعة الحمراء وإفريز الجدار السفلى كذلك باللون الأحمر ، بحشوات إما صفراء أو بيضاء أو زرقاء . والجزء العلوى فوق الإفريز السفلى للجدار يكون باللون الأبيض بزخارف ملونة فى اتجاهه . وتظهر أفضل التنسيقات للألوان للزخارف على الأرضية التى تكون على أرضيات سوداء وعند جمع الأخضر مع الأزرق يفصل بينهما اللون الأحمر ويبقى اللون الأصفر بكمية أكثر . وعلى الأرضيات الزرقاء يكون الأبيض فى خطوط رفيعة واللون الأصفر فى تجمعات أو كتل .

وعلى الأرضيات الزرقاء يكون اللون **الأخضر والأبيض** والأزرق فى خطوط رفيعة . واللون الأصفر لايكون ناجحا فوق اللون الأحمر إذا **لم يقو أو يرفع بالظل** .

وغالباً مايوجد فى عصر البومباى كل التنوع للظل ودرجة اللون واستعمال اللون الأزرق والأحمر والأصفر ليس فقط بكميات صغيرة فى الزخارف ولكن أيضاً فى تجمعات وكتل كبيرة كأرضيات للحشوات وأنصاف الأعمدة المربعة . واللون الأصفر البومباى قريب من اللون البرتقالى واللون الأحمر مطلوب بقوة مع اللون الأزرق .

هذه الشخصية والمحايدة للألوان تجعلها قادرة بشدة على التجاور دون **تنافر . وأسفرت النتيجة فى التقدم بمساعدة الألوان الثانوية والثلاثية والتى كانت** تحيط بالألوان المحايدة السابقة ، ومن الفحوص السابقة نخرج بالآتى .

أن الرومان أحبوا اللون الأحمر للأرضيات الخاصة بالحشوات الجدارية وتذهيب زخارفها المكملة لها فى إطاراتها المحيطة بها وأيضاً استخدمت الألوان المتدرجة القوى واستخدم الرمادى فى الجدران لإظهار سائر الألوان الأخرى كالأسود والأحمر وإذا استخدم الأزرق مع الأزرق كان **الذهبى فاصلا ، بينما** ذلك يكمل مااستخدم من الألوان الناصعة وخاصة فى الأسقف وكانت المجموعات اللونية كلها يكمل بعضها البعض الأخر

والملاحظ أن التفاصيل المعمارية كثرت فى هذا الأوان . وقد زان لون السماء الصافية الأجزاء العليا من الجدران مما يلى الأسقف وقد يصور فى السماء سحبا بلون باهت خفيف .

وقد اختير للفسيفساء **المستخدمة** مع سواها فى الجدران ألواناً **باهتة** واختصت الزخارف بالألوان القوية ـــ وكان الأحمر المستخدم فى معظم المناسبات . برتقالى المسحة تقريباً أو برتقاليا ناصعا . وأما عن النقوش الجدارية .

فقد تفوقت النقوش الجدارية فى بومباى على النقوش الإغريقية باستخدام الوحدات النباتية **المنتقاة** بعناية والألوان المحكمة بمنتهى الدقة والتى تتمشى مع التفاصيل **المعمارية الرقيقة** وأمكن تقسيم النقوش الجدارية إلى الأطوار الاتية

الطور الأول كان متأثراً بالفن الإتراسكى ويبدأ بمستهل القرن الأول قبل الميلاد وكانت بسيطة تنشأ زخارفها فى شرائح الرخام المستخدمة فى الجدران والأرضيات وغيرها من جهات المبنى غير أنه يبدو فيه التأثر بالفن الرومانى .

الطور الثانى : يتصل بإيضاح القصص والملاحم الإغريقية مع **سمات** معمارية بسيطة التكوين ولو أنها تشغل حيزاً هاماً فى التصميم .

الطور الثالث : يمتاز برسومه المعمارية والخيالية من أعمدة مستطيلة ـــ الهامة تعلوها كرانيش خفيفة تبدو خلفها السماء بلونها الأزرق الصافى البديع تحيطها إطارات **مستطيلة** وحشوات بها رسم إنسانى فى أوضاع مختلفة وإله حب وحوريات بحار مما انحدر أصلا من أساطير الإغريق .

نماذج زخرفية من عصر بومباى توضح الطور الأول للفن

الطور الثانى لزخرفة عصر بومباى

الطور الرابع : تعددت فيه **الإتجاهات والسمات** فى التفاصيل **العمارية** لكنها أقل ازدحاماً بالزخارف والموضوعات من الحقبة السابقة وأخص مميزاتها إحاطة حشواتها بافريز منمنم بالزخارف بعد تقسيم السطح إلى وحدات وحشوات مناسبة .

واستخدم الحفر مشكلا بالأوصاف السابق شرحها فى الجدران والأسقف **وأجملها ما وضحت** فيه خصائص العصر وبعض المبانى المعاصرة وكانت مزخرفة بالحشوات **الأسطورية** الرقيقة **محاطة** بإطارات زخرفية وحلزون نباتى داخله اكتشس خفيفة التفاصيل وتدل هذه النقوش على الترف فى ذلك العصر وكل التصميمات خالية من التكرار الآلى مما جعل التصميمات المنفذة فى هذه الحقبة فريدة فى موضوعاتها وأيضاً فريدة فى رقتها وجمالها .

ومما سبق نستخلص أن جميع طرز الزخرفة كيفما كانت فهى شديدة التقلب فى الأطوار وهى وراء مدى الفن الحقيقى ولايمكن أن تتعرض إلى النقد الصارم وهى بوجه عام مبهجة إذا لم يتخللها **فن مبتذل** على الإطلاق ، فهى فى أكثر الأحيان تقترب من الفظاظة والخشونة . وهى تمتلك سحرها العظيم الراجع إلى المعرفة والتخطيطات المسبقة أو الاسكتشات التى توضح كيفية إخراج هذه الطرز والتى يستحيل اعتبارها أى رسم والسبب **واضح وهو** أن فنانى عصر البومباى قد اخترعوا ما رسموه أو رسموا ما استنبطوه فى الحال فكل لمسة من فرشاتهم لديها عزم وتصمم على ألا يغتصب أى مقلد أو ناقل أو ناسخ هذا الفن المميز .

والزخارف الواردة فيما يلى توضح تأثراً بالشخصية الإغريقية وهى عامة عبارة عن كنارات على الحشوات والبانوهات وهى تمتلك خاصية وشخصية الرقة والنحافة بالمقارنة بالنماذج الإغريقية والتى تظهر دونية بينة واضحة فلا نرى كثيرا من التشعب الكامل للخطوط من الجذع الأصلى ولا التوزيع السليم للكتل أو المساحات المتناسبة ووصفهم الساحر للألوان فى تباين مرضى ومقبول والتى ظلت ترتقى وتقوى أكثر عندما أحيطت بالألوان الأخرى فى محلها .

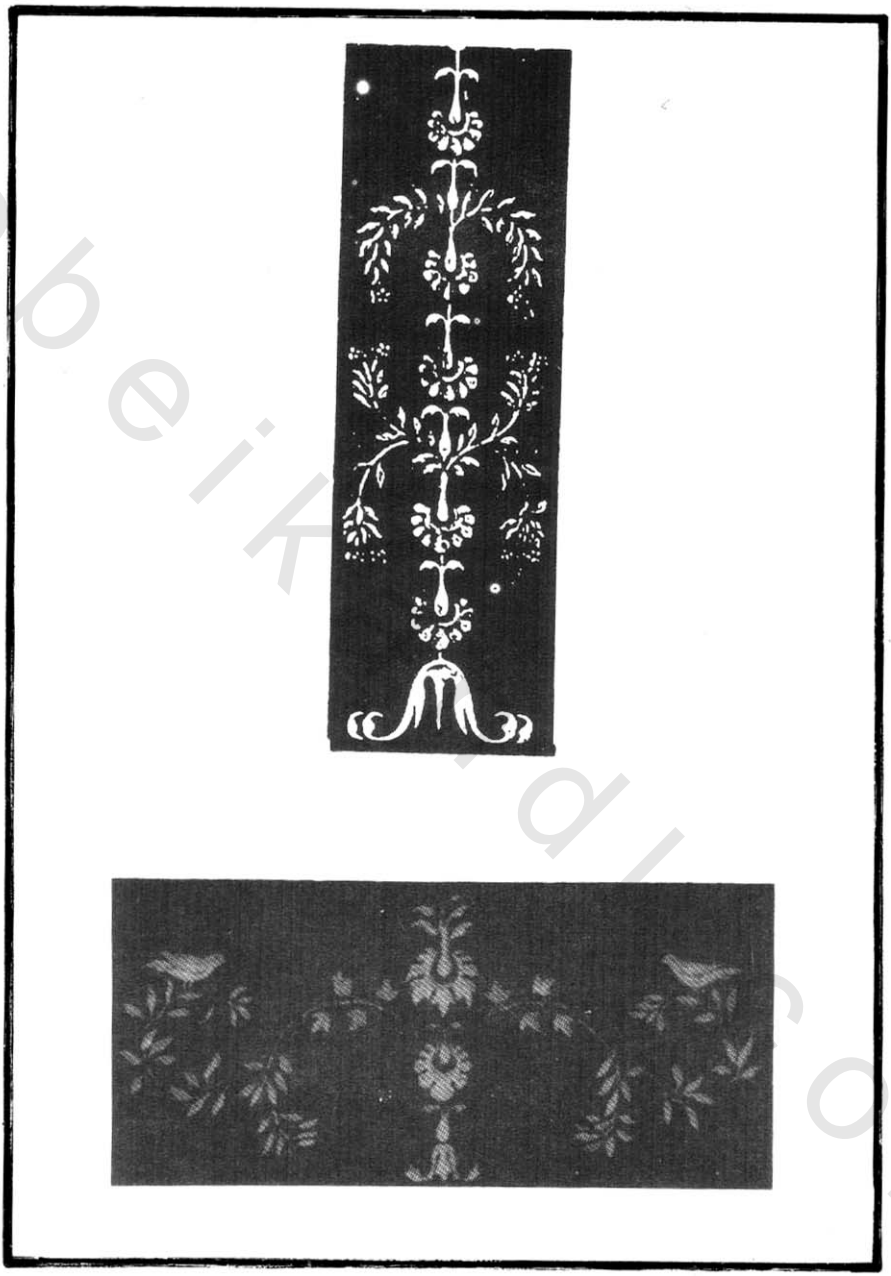

زخارف لكنارات وحشوات وبانوهات من عصر **بومباى** وهى تتميز بالرقة والنحافة وتبدى تأثراً بالشخصية الإغريقية فى الفن .

والزخارف الوجودة فى الفصوص (**أنصاف الأعمدة المربعة**) والأفاريز بعد الطراز الرومانى ظللت هذه الزخارف لتعطى الاستدارة ولكنها بهذا الشكل لم تكن كافية بغرض فصلها عن الأرضية . وفى هذا المضمار **أوضح فنانو** البومباى قيادة **وتفوقاً فى** عدم إفراط **وهذا حدّ** من معاملة الزخراف بالاستدارة وكلها كانت منعدمة النظير فى العصور المقبلة أو التابعة ولدينا هنا حلزون ورقة الأكنثس مشكلا أرضية منقوشة والتى عليها تمثيلات مطعمة للأوراق والزهور متداخلة مع حيوانات مماثلة **بدقة** وإحكام للأثار المتبقية الموجودة فى الحمامات **الرومانية . والتى نجدها فى رسومات روفائيل التى أصبحت أساس الزخرفة** الايطالية .

تمثيلات مطعمة للأوراق والزهور متداخلة مع حيوانات مماثلة للأثار المتبقية الموجودة فى الحمامات الرومانية . وأصبحت فيما بعد أساساً للزخرفة الإيطالية فى عصر النهضة .

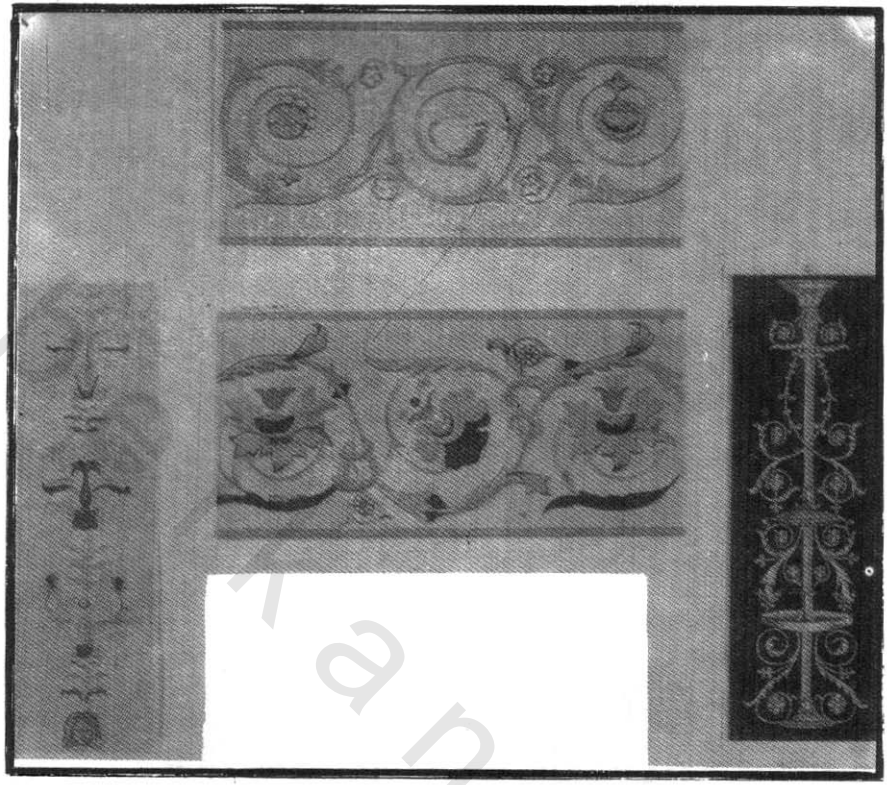

زخارف لفصوص وأفاريز من منازل مختلفة فى بومباى وبيدو فيها حلزون ورقة الأكنثس مشكلا أرضية منقوشة وعليها تمثيلات مطعمة للأوراق والزهور .

وفيما يلى مجموعة من أشكال أرضيات الفسيفساء والتى كانت تشكل لمحة فى كل بيت من بيوت الرومان . وأينما امتدت مستعمراتهم فى محاولة إبراز الزخارف (Relief) موضحة فى العديد **من الأمثلة . ومن الملاحظ** أن تذوقهم لم يدم وينقح كما هو الحال فى أساتذتهم الإغريق . فالكنارات تشكلت بتكرار الأشكال المسدسة وفى أعلى وجوانب الصفحة عبارة عن طرز نستشف منها فوراً كل هذه الاختلافات الغير محدودة للفسيفساء العربية والبيزنطية والمغربية .

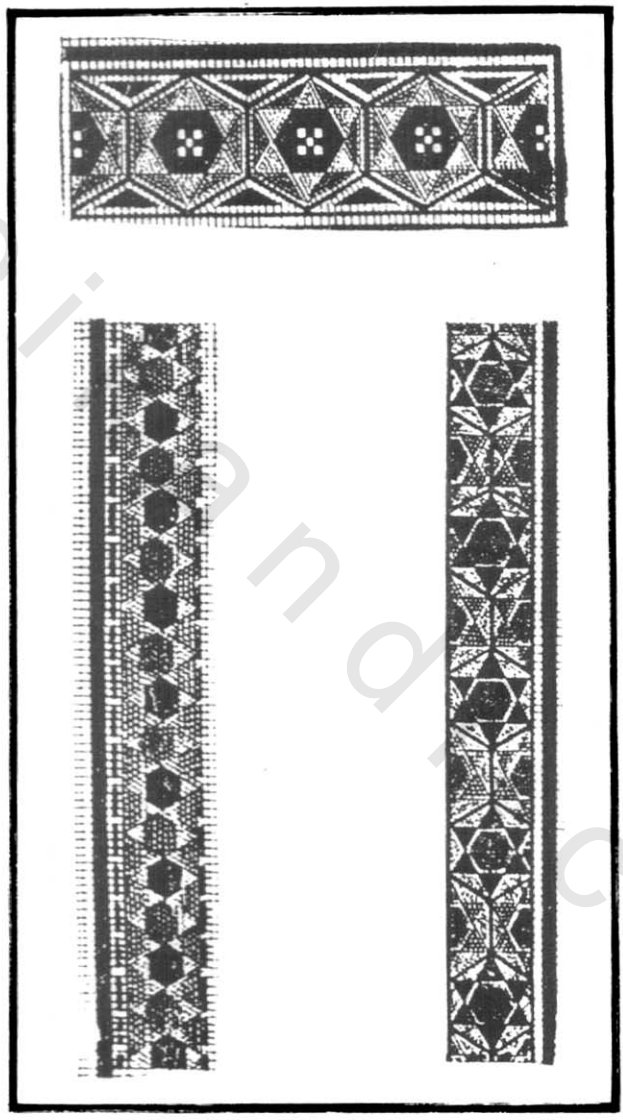

نماذج من أشكال أرضيات الفسيفساء وهى عبارة عن كنارات من تكرار لأشكال سداسية ولم يكن تذوقهم فى هذا المضمار كما هو الحال فى أساتذتهم الإغريق .

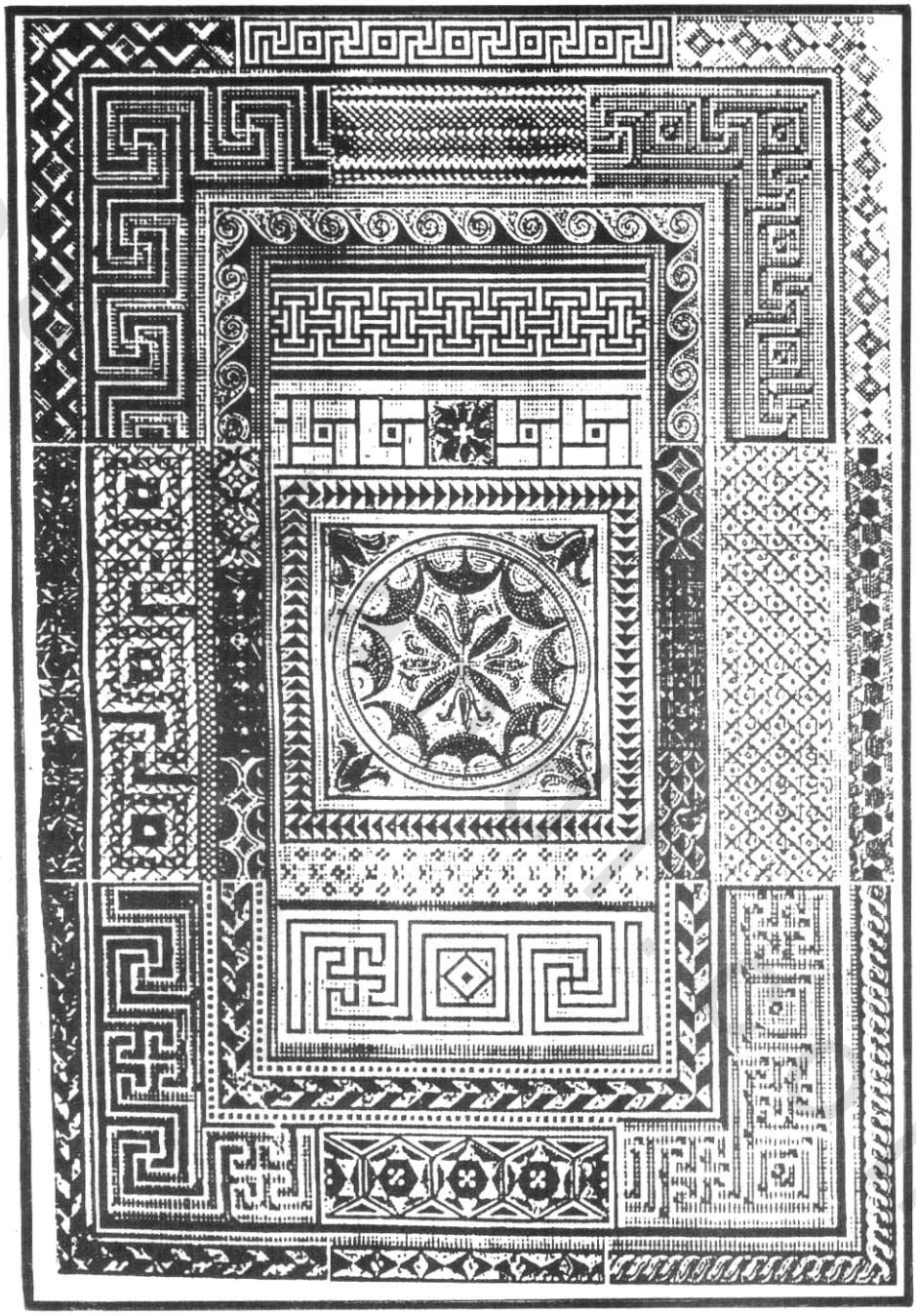

نماذج أخرى من الفسيفساء فى بومباى

فن الزخرفة الرُّومَانى

ROMAN ORNAMENT

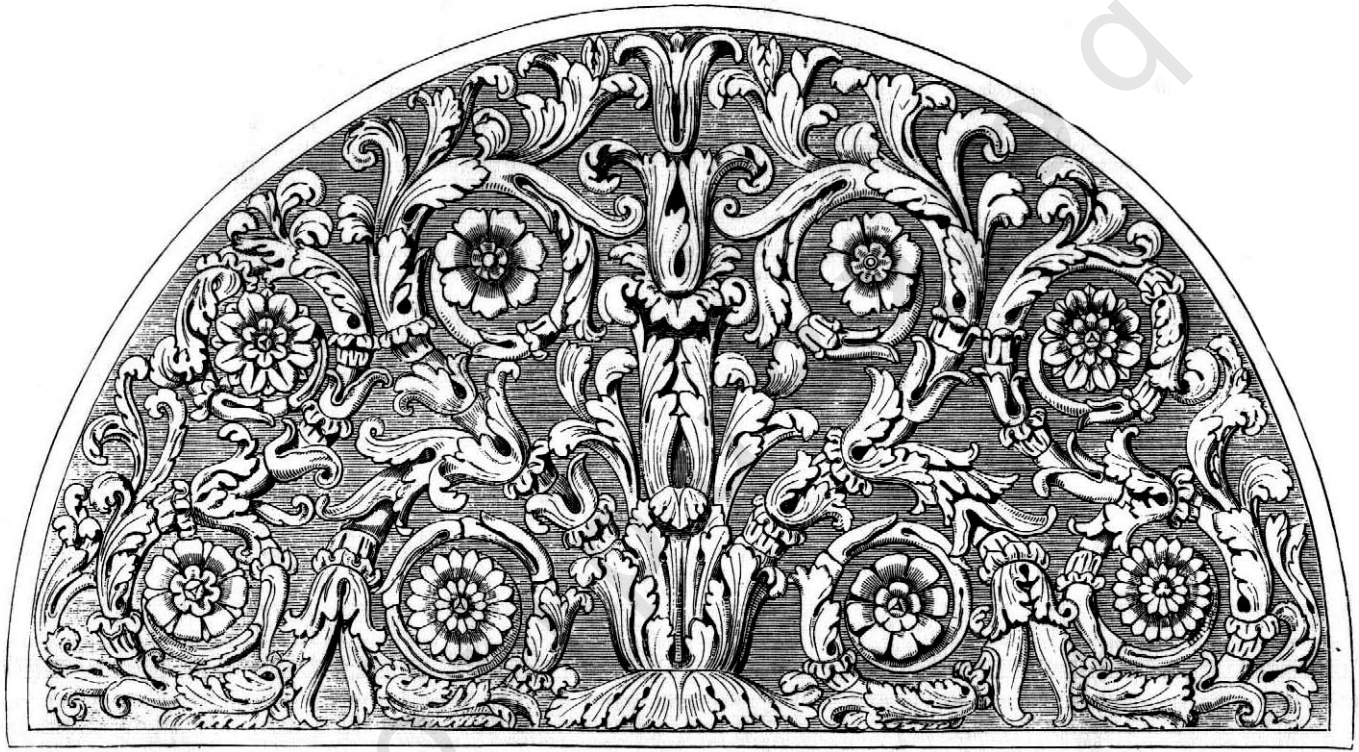

قطعة أثرية من الرخام الأبيض . مزخرفة بالزخارف الرومانية